وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف
شكل التعبير وشكل المضمون
Languages description and sign structure in Hjelmslev
Expression form and content form

د.جمال بلعربي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية (الجزائر)
djamelbelar@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/07/ 02	تاريخ لقبول: 2018/08/15	تاريخ النشر: 2019/02/10

ملخص البحث

نتناول في هذه الورقة بالطرح والمناقشة إشكالية ثنائيتي هيلمسلاف صعيد التعبير/ صعيد المضمون، والشكل / الخامة، من حيث أنهما تشكلان تصورا رباعيا لبنية العلامة، يتمحور حول مفهوم الدالة السيميائية، في إطار الأطروحة الغلوسيمية والجهاز المفاهيمي الخاص بها؛ على اعتبار أن هذا التصور الرباعي أداة أساسية لتحليل الألسنة ووصفها، وبناء العلم الذي يدرسها. وبذلك سوف يندرج تحليلنا في إطار إبستيمولوجيا علوم اللغة والسيميائيات، لنبين أن مفاهيم هيلمسلاف لا يمكن أن تكون موضوع نقد وتقييم على أساس مدى قابليتها للتطبيق والاختبار التجريبي، وإنما، تفرض علينا الطبيعة التجريدية للأطروحة، والخيار الصوري النسقي الذي حدده لها هيلمسلاف، أن نكتفي بمقبولية انسجام تلك المفاهيم مع بقية مكونات الجهاز المفاهيمي والمصطلحي. ومع ذلك سوف نستثمر بعض الأمثلة اللسانية التي وردت في مؤلفات هيلمسلاف ونطبق تصوراته على مدونة إيقونية لنبين أن الطبيعة التجريدية للأطروحة لا تمنع من الاشتغال بها على المدونات ذات الطبيعة اللغوية، بما فيها المدونات غير اللسانية.

الكلمات المفتاحية : غلوسيمية ؛ هيلمسلاف ؛ شكل ؛ خامة؛ سيميائيات.

Abstract:

In this paper, we will present and discuss the question of the hjelmslevian dichotomies: expression side / content side, and form / substance, as they are the four components of sign, which is, in the glossematic thesis and its special concept apparatus, conceived on the base of the semiotic function. This four components concept is a fundamental tool

for language analysis and description, and for linguistics construction. This will put our discussion in the field of linguistics and semiotics epistemology, and let us show that the hjelmslevian concepts couldn't be submitted to critics or evaluation according to their applicability. The formal and systematic nature of the glossematics would make us accept these concepts coherence with the whole concept apparatus. Even though, we will explore some of Hjelmslev linguistic examples, and apply his concepts on an iconic corpus, in order to show that the abstract and formal nature of the glossematics does not prevent the usage on any corpus of language nature.

Key words: Glossematics; Hjelmslev; form; content; semiotics.

مقدمة:

تتميز أدبيات اللساني الدنمركي لويس هيلمسلاف (1899- 1965) بثنائية مزدوجة يقابل فيها بين صعيد التعبير وصعيد المضمون، ويقابل فيها من جهة أخرى، داخل كل من الصعيدين، بين الشكل والخامة. وهو يستعمل هذه البنية الرباعية للعلامة بمفردها وكذلك لكل نص يسنده لسان، منطلقا لأي تحليل علمي يهدف إلى وصف الألسنة الطبيعية وغيرها من أنساق العلامات. الشيء الذي يتبعه فيه العديد من الباحثين في علوم اللغة والسيميائيين مثل باحثي مدرسة باريس؛ وذلك على الرغم من "الغياب" النسبي الراهن للأطروحة الغلوسيمية، كوجهة نظر علمية لسانية متماسكة لها مكانتها في تاريخ الفكر اللساني، بل وفي راهنه البحثي أيضا. إننا عندما نطرح سؤال تلك البنية نكون قد طرحنا سؤال التحليل اللساني من وجهة نظر الغلوسيمية، ومنه سؤال معقولية الطرح الغلوسيمي بالنسبة لوصف موضوع نظرية اللغة.

سوف نتطرق في هذا المقال إلى وصف بنية العلامة عند هيلمسلاف ثم إلى تصوره لموضوع نظرية اللغة ومواصفات المنهج الذي تتطلبه دراسة ذلك الموضوع. ونعتقد أن هذا سيكفي لطرح وتحليل إشكالية الفصل الفعلي بين شكل التعبير وخامته ثم بين شكل المضمون وخامته. ومن خلال هذه المناقشة نحاول أن نبين بأننا في أسوأ الحالات، ونحن نقبل على التحليل الغلوسيمي، قد نصطدم بهوامش أو تفاصيل نتصورها عندما نفكر في وصف النسق، لكننا في واقع الأمر، عند مباشرة التحليل، نعتقد أننا لا نجد لها مسمى؛ غير أن هذه الحالة لا تقلل من قيمة التصور الغلوسيمي لبنية العلامة بل تخرج العينة المدروسة من إطار الموضوع السيميائي

فحسب، وتبرهن على أن ذلك الموضوع ليس سيميائيا ولا تبرهن بأي حال على أن الغلوسيمية غير قابلة للتطبيق. إننا أمام أطروحة تجريدية قائمة على الانسجام الداخلي لا تترك معنى للتعاطي مع مفاهيمها خارج بنيتها النسقية.

أولا– بنية العلامة وموضوع نظرية اللغة:

يعتمد تحديد موضوع نظرية اللغة عند هيلمسلاف على ضبط تصور العلامة ونسق العلامات (اللسان الطبيعي وغير الطبيعي) وعلى البنية الاستنباطية للنظرية نفسها. يعني أن المشروع الغلوسيمي عند هيلمسلاف لا يهادن، ولا يقوم على التراكم الحاصل في مجال المعرفة اللسانية، بل يأتي، على طريقة المناطقة وعلماء الرياضيات، بتصور لبناء استنباطي يطلق عليه عدة تسميات أهمها: نظرية اللغة، اللسانيات اللسانية، الغلوسيمية، اللسانيات البنيوية.

في هذا البناء الاستنباطي يتصور هيلمسلاف وجود اللغة، لكن ليس حسب التصور السابق على هذا البناء، والذي يمكن أن يخلط بينها وبين المعارف التي تنقلها نصوصها أو الوظائف النفسية التي تلازم اشتغالها أو المفاهيم المنطقية التي جرت العادة على إخضاعها لها عنوة؛ إلى غير ذلك من المعارف الإنسانية، التي هي، بكل تأكيد، ذات علاقة وطيدة باللغة ولكنها، كما يؤكد هيلمسلاف، ليست اللغة. ليست اللغة التي تستحق أن تكون موضوعا للبحث اللساني[1].

عند هذه النقطة نحتاج إلى التمييز بين اللغة واللسان، أو على الأقل، بالنسبة لمستعملي اللسان العربي، نميز بين اللغة بمعنى لسان مجتمع معين وبين اللغة بالمعنى المجرد والأوسع الذي يشمل كل الألسنة، الموجودة والممكنة، التي تتوفر فيها خصائص اللسان. ولكي نتجنب الخوض في إشكالية التمييز بين المعنيين، نوضح أننا نستعمل هنا مصطلح لغة للدلالة على المنطقة المشتركة بين المعنيين: فعندما نتحدث عن اللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.. الخ، نقصد معنى "لسان"، وعندما نتحدث عن نظرية اللغة نقصد المعنى السيميائي الذي يضم جميع الألسنة الموجودة بالفعل ويضم حتى الألسنة التي لا نعرفها والتي لم توجد بعد، طبيعية كانت أم غير طبيعية[2]. وهذا المعنى الأخير هو الذي يميل إليه هيلمسلاف في تصوره الغلوسيمي.

يبني هيلمسلاف تصوره لموضوع نظرية اللغة على أساس التعريف السوسيري الذي يعتبر اللسان شكلا خالصا. لكنه لا يقف عند حدود هذا التصور بل يجتهد ليعيد صياغته من جديد بما يتفق مع البنية الاستنباطية للنظرية[3].

عند دي سوسير، نعثر على اللسان في الجانب الشكلي للأداء اللساني، لأن العلامات (اللسانية) كيانات مستقلة عن المرجع الذي تحيل عليه. وهذه العلامات تتكون من تضامن بين الدال والمدلول. وهكذا يمكن التعبير عن بنية العلامة السوسيرية كالتالي:

دال + مدلول = علامة.

على اعتبار أن الدال معطى ذو طبيعة نفسية يمثل الصورة الصوتية – أو ما يعادلها – والمدلول هو الآخر معطى ذو طبيعة نفسية ويمثل الصورة الذهنية، وتجتمع الصورتان لتشكيل ما يسميه بالعلامة.

أما هيلمساف فيقترح استبدال الدال بصعيد التعبير واستبدال المدلول بصعيد المضمون وهما أيضا تربطهما علاقة تضامن، يسميها "الدالة السيميائية"، فنعبر عن ذلك كالتالي:

صعيد التعبير ع صعيد المضمون ≈ (علامة)

نقصد باستعمال الرمز ≈ أن العلاقة بين الصعيدين ليست مجرد إلحاق يمكن أن نرمز له برمز الجمع، بل هي دالة ذات صياغة صورية خاصة، تكون العلاقة فيها صيغة من الصيغ المجردة للدوال الممكن وجودها في اللغة. كما أن العلاقة بين الصعيدين ليست مساوية تماما للعلامة بل هي تساويها بتحفظ. وذلك للسبب التالي:

يقوم هيلمسلاف بتقسيم صعيد التعبير إلى شكل التعبير وخامة التعبير ويقوم بتقسيم صعيد المضمون إلى شكل المضمون وخامة المضمون[4]، وهو ما نقترح التعبير عنه كالتالي:

تعبير (شكل + خامة) ع مضمون (شكل + خامة) ≈ (علامة)

يتمسك هيلمسلاف بالأطروحة السوسيرية ويرى أن هذا التحليل للعلامة، في الطبعة المعدلة، يساعد على تحديد موضوع نظرية اللغة بدقة أكبر، ويرى أن نظرية اللغة لا تدرس الخامات، فالخامات هي من اختصاص علوم أخرى، بينما تختص نظرية اللغة بدراسة الشكل في كل من الصعيدين، ونعبر هنا عن ذلك بالصيغة التالية، وهي الأدق تعبيرا عن تصور هيلمسلاف للعلامة كموضوع لنظرية اللغة:

شكل التعبير (ع) شكل المضمون = موضوع نظرية اللغة

ليس موضوع نظرية اللغة عند هيلمسلاف هو العلامة في حد ذاتها بل **اللغة** من حيث أنها **شكل** (للتعبير والمضمون) **في هيأة نسق من الجزيئات**[5] **القادرة على تشكيل علامات تقبل التقسيم إلى صعيدين متضامنين وفق دالة سيميائية.**

ثانيا– تحليل النصوص اللسانية:

بعد هذا العرض المصطلحي المجرد، نحاول الآن تقديم أمثلة توضيحية حول ما يقصده هيلمسلاف بكل من هذه المصطلحات.

لنأخذ الجملة التالية: "أنا لا أعرف".

يقول هيلمسلاف إن أية مقاربة تحليلية، تستحق أن توصف بالغلوسيمية، يعني تستحق أن توصف بالعلمية، يجب أن تبدأ بالفصل بين صعيد التعبير وصعيد المضمون[6]. ولذلك نقوم بتحديد كل منهما؛ فما هو صعيد التعبير وما هو صعيد المضمون في هذه الجملة؟

صعيد التعبير: سلسلة صوتية تتكون من وحدات صوتية (فونيمات، جزيئات تتكون منها الفونيمات) منتظمة حسب عدد من العلاقات المجردة والثابتة داخل اللسان والتي يسميها هيلمسلاف بالدوال[7]. وتلك السلسلة هي: أصوات لها مخارج محددة ونطق محدد وترتيب محدد.

صعيد المضمون: "استبدالية" paradigmatic تتكون من وحدات لغوية (يسميها الغلوسيمات، أو الجزيئات وهي أصغر من العلامات)، ليكسيمات تحكمها هي الأخرى مجموعة من العلاقات الخاصة بها داخل اللسان. هي: ضمير المتكلم، النفي، فعل المعرفة في حالة صرفية معينة.

عند هذا الحد من التحليل لا يختلف الأمر كثيرا عما يسميه دي سوسير بالصورة الصوتية والصورة الذهنية اللتين تكونان العلامة واللتين يستعيض عنهما بعد ذلك بمصطلحي الدال والمدلول. فما الجديد عند هيلمسلاف؟ إن الأمر يختلف عند هيلمسلاف عندما يأتي للتمييز بين الشكل والخامة.

خامة التعبير: المادة الصوتية (عندما يتعلق الأمر بالكلام المنطوق) الموجودة في الطبيعة – أي في القدرات الهائلة التي يتمتع بها جهاز النطق والتي تسمح بإنتاج تنوعات صوتية لا حصر

لها – والتي ليس لها شكل محدد ويستخدمها كل لسان ليصنع منها تقطيعا خاصا به في شكل نسق صوتي يصمم به صعيد التعبير.

شكل التعبير: تقطيع يضعه اللسان لتلك المادة الصوتية بحيث يصنع منها نسقه الصوتي الخاص، والمختلف عن كل الأنساق الصوتية الأخرى[8]، وفق قواعد ثابتة. تتحدد بداخل هذا النسق الصوتي مواصفات كل صوت وعلاقاته بالأصوات الأخرى بداخل النسق. يحول هذا التقطيع خامة التعبير التي لا شكل لها إلى سلسلة صوتية نسقية مبنية بإحكام لا تقبل أي تغيير اعتباطي.

خامة المضمون: المعاني والأفكار التي توجد في العالم قبل أن تتخذ شكلا واضحا. وهي ما نترجمه عندما ننقل الجملة من لسان إلى لسان.

شكل المضمون: تقطيع يحدثه اللسان لأشياء العالم أثناء تشكله (أو تشكلهما معا، بمعنى ما) وهو تقطيع يختلف من لسان إلى آخر ويشمل كل الرصيد المعجمي المكتوب وغير المكتوب الذي يتوفر عليه اللسان. لا يملك هذا التقطيع وجودا خارج اللسان ولا خارج العالم، بل هو يتشكل أثناء استيعاب اللسان للعالم، بحيث لا يمكن القول أيهما يوجد قبل الآخر، العالم أم اللسان الذي يعبر عنه. لأن العالم بالنسبة للمتكلمين بلسان ما لا وجود لتفاصيله إلا من خلال لسانهم.

نستعير مثالا[9] من هيلمسلاف ونقارنه بالجملة التي اقترحناها ولتكن الجملة الفرنسية التالية:

"Je ne sais pas"

ربما نعتقد للوهلة الأولى أن الجملتين متطابقتان، فلنتأكد من ذلك.

تتكون الجملة العربية من: ضمير المتكلم المفرد + أداة نفي + فعل "عرف" مصرف في صيغة المضارع وهو يحمل خصائص المتكلم المفرد.

تتكون الجملة الفرنسية من: ضمير المتكلم المفرد + جزء من أداة النفي + فعل "عرف" مصرف في صيغة الحاضر وهو يحمل خصائص المتكلم المفرد + الجزء الثاني من أداة النفي.

توجد مجموعة من التفاصيل المشتركة بين الجملتين، ولكن توجد كذلك مجموعة من التفاصيل المختلفة أبرزها أداة النفي التي هي في الفرنسية معنم متقطع يتوسطه الفعل، بينما في

العربية هي معنم غير متقطع يسبق الفعل. وهذا ناتج عن التقطيع المختلف للعالم بين اللسان العربي واللسان الفرنسي. يختلف زمن الفعل بين العربية والفرنسية فالمضارع العربي ينتمي إلى "استبدال" paradigm يحتوي على زمنين فقط : الماضي والمضارع، على اعتبار أن الأمر ليس زمنا تصريفيا بل صيغة تصريفية. بينما ينتمي الزمن الحاضر الفرنسي إلى نسق تصريفي معقد يحتوي على عدد كبير من الأزمنة البسيطة والمركبة وعدد من الصيغ التصريفية المتقاطعة مع تلك الأزمنة.

لنأخذ جملة أخرى، دائما من مثال هيلمسلاف، ولتكن الجملة الدنمركية: " jeg ved det ikke" (أنا لا أعرف). إنها جملة تتكون من: ضمير المتكلم المفرد jeg + فعل "عرف" في صيغة الحاضر ved + اسم إشارة بمعنى ذلك det + أداة النفي ikke.

تختلف هذه الجملة عن السابقتين في كونها تأتي بالفعل في المرتبة الثانية، مباشرة بعد الضمير (الفاعل)، وتأتي بأداة النفي في الأخير، وأنها تضيف اسم الإشارة بعد الفعل وهو غائب تماما من الجملتين السابقتين.

يعني هذا أن الألسنة المذكورة أعلاه: العربية والفرنسية والدنمركية تقوم بتقطيع العالم بطرق مختلفة وهي تعبر عن المعنى الخام نفسه لكن لكل واحد منها صياغته وخصائصه في التقطيع، أي أنها تصوغ ذلك المعنى في أشكال للمضمون مختلفة من لسان إلى آخر. وهذا لا يعني أن خامة المضمون تتطابق بين تلك الألسنة، بل إن خامة المضمون تختلف هي الأخرى بسبب اختلاف شكل المضمون، ويبقى الشيء الوحيد المشترك بينها هو المعنى قبل تشكله في خامة للمضمون.

ربما يتضح الأمر أكثر عندما ننظر إلى الجمل السابقة من الزاوية الاستبدالية بعد أن نظرنا إليها من الزاوية النظيمية syntagmatic. فنجد أن المتكلم العربي يختار الضمير من استبدال يحتوي على: أنا، أنتَ، أنتِ، هو، هي، نحن، أنتما، هما، أنتم، أنتن، هم، هن (12 وحدة معجمية)، بينما يختار الفرنسي ضميره من استبدال يحتوي على: je, tu, il, elle, on, ce, nous, vous, ils, elles (10 وحدات)، ويختار الدنمركي ضميره من استبدال يحتوي على: jeg, du, han, hun, vi, I, de, De, et, en (10 وحدات) غير

متطابقة مع وحدات الاستبدال الفرنسي. فعلى سبيل المثال تقابل ce الفرنسية en وet في الدنمركية، وتقابل ils و elles الفرنسيتين de الدنمركية.

يرى هيلمسلاف أن هذا التقطيع ليس مجرد ترتيب للوحدات المعجمية في اللسان، بل هو تقطيع بنيوي ينتمي إلى بنية اللسان ويميزه عن بقية الألسنة، ويضرب عددا من الأمثلة منها مثال تقطيع ألوان الطيف بين اللسانين الفرنسي والغالي[10]:

وفقا لهذا المثال يقوم اللسان الغالي بتقطيع الألوان من الأخضر إلى الأسمر إلى ثلاث درجات بينما يقطع الفرنسي نفس الألوان إلى أربع درجات، دون أن تكون تلك الدرجات متطابقة بين اللسانين. فاللون glas عند الغاليين يغطي بعض درجات الأخضر عند الفرنسيين ويغطي كل درجات الأزرق وبعض درجات الرمادي. إنه لون يمتد من الأخضر إلى الرمادي الفرنسيين. إذن، ليس الاختلاف بين اللسانين، من وجهة النظر البنيوية، في الجانب التركيبي ولا في قواعد بناء الجملة وإنما في تقطيع العالم، وهو اختلاف لساني، نعتبره عادة، خارج مجال اللسانيات، اختلافا ثقافيا، للتأكيد على أنه لا ينتج عن فوارق فيزيائية أو كيميائية بين المسميات ولا عن فوارق فزيولوجية في الإدراك البصري، بل اختلاف في تصور المتكلمين لمكونات لسانهم.

يعني هذا أن تقطيع العالم من خلال اللسان يندرج ضمن ثقافة المجتمع اللساني، كما أن المعاجم نفسها تتم صناعتها على أساس ذلك التقطيع. أما المعنى فمعطى يوجد خارج ذلك التقطيع ولعله القدر المشترك بين الألسنة التي أوردنا الجملة السابقة منها.

ثالثا– تحليل إيقونة العدالة:

ربما يتضح الفرق بين الخامتين والشكلين عندما نرصدهم عبر نص غير لساني. نص أيقوني على سبيل المثال. ولتكن إيقونة العدالة التي نجدها على مداخل المؤسسات القضائية. ولتكن أيقونة من حجر منحوتة على جدار مدخل محكمة: امرأة معصوبة العينين، ترتدي عباءة طويلة وهي واقفة وتحمل في يدها ميزانا متعادل الكفتين. بطبيعة الحال نستعمل هذه الترجمة

اللغوية للإيقونة لغرض توضيحي فقط، فنحن لن نقوم بتحليل هذا النص وإنما الإيقونة كما تعبر عنها الصور التي نعتقد أن نسخا منها متوفرة وفي متناول القارئ، كما أننا لا نقصد دراسة تحقُّق معين لتلك الإيقونة فنحن لن نأخذ جانب الخامة منها في الحسبان، ولا تهمنا تلك الخامة من أية مادة أُخذت.

خامة التعبير: الهيأة التي تتخذها الصخرة بعد نحتها. فالحجر مادة لا شكل لها من وجهة النظر السيميائية، ليس لها شكل يدخل في إطار التحليل السيميائي. ويأتي شكل التعبير لينحت فيها خطوطا وثقوبا وأشكالا هندسية مختلفة وهيآت أشياء .. الخ.

تتميز تلك التفاصيل التي يضعها الشكل على الخامة بعلاقات معينة يرتبط بعضها ببعض ويمكن لتلك التفاصيل نفسها، في منحوتة أخرى، أن تأتي في ترتيب مختلف؛ بل ربما ترد في نسق آخر من العلامات يقيم بينها علاقات مختلفة. وهي تفاصيل مستقلة، بطبيعة الحال، عن الخامة التي تتجلى من خلالها. كما يمكن لخامة التعبير أن تتكون من مادة أخرى غير الحجر الذي تتكون منه هنا. يمكنها أن تكون رخاما بدلا من الغرانيت أو نحاسا أو ذهبا أو غيرها. مما يعني أن الخامة بدورها مستقلة عن الشكل الذي تكتسيه في هذه المنحوتة.

شكل التعبير: هيأة متكونة من خطوط وثقوب وأشكال هندسية غير واضحة. تلك التفاصيل التي نستطيع حساب امتداداتها ودرجات تكورها وانحنائها عبر مساحة المنحوتة بأكملها. وعندما يتغير ترتيبها سوف تنتج لنا منحوتة أخرى. وتتغير العلاقات التي تربطها فتنتج لنا نسقا آخر. وهي في هذا النسق تخضع لعلاقات صورية ثابتة.

شكل المضمون: امرأة واقفة، ترتدي جبة طويلة بيضاء اللون، تحمل ميزانا، وهي معصوبة العينين. إن هذا الشكل تقطيع واضح التفاصيل والحدود لأشياء العالم التي تكون في هيأة معان غير واضحة عندما تكون في حالتها الخام. وهنا، على مستوى شكل المضمون، يمكن أن نحدد، ولو بالتقريب، المرحلة العمرية للمرأة، ويمكن أن نجزم إذا كانت امرأة أو رجلا، ويمكن أن نحدد نوع الآلة التي تحملها ونصف وضعية تلك الآلة، كما يمكن أن نصف الحالة التي توضع فيها قطعة القماش على العينين ونقول أنهما معصوبتان.

في أنساق أخرى يمكن أن نعتبر هذه المرأة نفسها مضمدة العينين للعلاج ويمكن أن تكون الآلة التي تحملها موسيقية.. إلى غير ذلك من التقطيعات الممكنة في عالم الأشياء.

خامة المضمون: هيأة آدمية، في مرحلة عمرية معينة، في وضعية جسمية معينة، وقطعة قماش (أو غيره) موضوعة على جزء من جسمها (العينين). تحمل آلة لها مواصفات خاصة وهي في وضعية معينة. زيادة على ترتيب هذه العناصر داخل إطار المنحوتة، وعلاقاتها بعضها ببعض. ففي هذه المرحلة تكون التفاصيل النهائية غير واضحة ولا نستطيع وصف الأشياء وتحديد معانيها إلا في إطار ثقافة المجتمع المستعمل للنسق الذي أنتج المنحوتة موضوع التحليل في هذه الفقرة، أي في إطار تقطيع نسقي معين.

إن هذا التقسيم، بالنسبة لهيلمسلاف، غير ناتج عن أي استقراء، فهو ليس محصلة عدد من التجارب أجريت على عينات من النصوص وأدى تحليلها إلى نتائج متشابهة فوضعنا لها صيغة عامة تشبه القاعدة أو القانون. بل إن هذا التقسيم في نظر هيلمسلاف تصور قبلي يتفق مع تعريف اللغة والعلاقة التي تربط بين صعيديها، الدالة السيميائية، والتي تجعل منها موضوعا للتحليل الغلوسيمي. ويتفق مع تعريف العلامة وخصائصها التي تلحقها بموضوع نظرية اللغة والتي تميزها، في الوقت نفسه، عن الرمز المنطقي أو أية عناصر يمكن أن نجدها في نسق من أنساق اللُّعب وتنظيمات الحياة اليومية مثل نظام الهاتف أو إشارات المرور وغيرها.

رابعا– السيميائية الإيحائية:

إن الإيقونة التي نحن بصدد دراستها ترمز عادة إلى العدالة وتعني في هذا السياق أنها عمياء، لا تميز بين الناس للاعتبارات الشخصية بل هم جميعا سواسية أمامها؛ وهي تحمل الميزان الذي تحكم به بالمساواة. فأين نضع هذا المعنى بالنسبة للتقسيم الرباعي المذكور أعلاه؟

يجب أن نشير إلى أن التقسيم السابق يتعلق بما يسميه هيلمسلاف السيميائية التقريرية في حين أن المعنى الأخير يتشكل بواسطة التوظيف الإيحائي للعلامة، إذ يتحول صعيد التعبير وصعيد المضمون معا إلى صعيد للتعبير في سيميائية جديدة[11]. غير أن هذه السيميائية ليست من النوع الذي ينطبق عليه وصف اللسان، فهي كما نرى يتطابق فيها صعيد التعبير دائما مع صعيد المضمون نفسه بحيث تكون أقرب إلى الأنساق الرمزية كما يصفها هيلمسلاف. ويتأكد هذا عندما ننتبه إلى أنها من جهتها لن تقبل تشكيل دلالة إيحائية ثانية، اللهم إلا إذا كان ذلك في إطار بنية نسقية أخرى. وعندما لا نتمكن من إخضاع هذه "السيميائية" — الإيقونة – للتحليل الرباعي للعلامة فليس من حقنا أن نستنتج بأن الغلوسيمية لا تقبل التطبيق على الإيقونات، بل

من المنطقي أن نستنتج أن هذا النوع من الإنجازات – الإيقونات، من حيث هو كذلك، لا يدخل ضمن موضوع نظرية اللغة، حتى وإن كانت الغلوسيمية تشملها في مستوى آخر من مستويات التحليل، عندما تتأسس كعلم يشمل جميع التعابير الإنسانية[12].

خاتمة:

يقوم وصف الألسنة ومختلف أنساق العلامات عند هيلمسلاف على حزمة متشابكة من المفاهيم، يستخدمها في التحليل الذي يسميه حسابا (أو جبرا) غلوسيميا[13] يقوم فيه باستخراج العلاقات التي تربط بين مكونات النسق (اللسان) الذي يسند أي نص. لكن جوهر هذا الحساب يتمثل في التسليم بوجود بنية نسقية ثابتة تتشكل من العلاقات التي تربط بين مكونات النسق. غير أن هذه البنية لا تتجلى إلا من خلال التحليل الغلوسيمي. ولا يقبل النص الدخول في موضوع نظرية اللغة إلا إذا كان يقبل التحليل الغلوسيمي، وهو لا يقبل هذا التحليل إلا إذا كان يقبل التقسيم إلى صعيد للتعبير وصعيد للمضمون، بحيث تربطهما دالة سيميائية، يعني صيغة مجردة لعلاقة ثابتة، فلا يكون التعبير تعبيرا إلا لأنه تعبير مضمون ما ولا يكون المضمون مضمونا إلا لأنه مضمون تعبير ما.

إن الغلوسيمية تدرس اللغة من حيث أنها شكل، وهذا الشكل عند هيلمسلاف هو شكل التعبير إضافة إلى شكل المضمون. يعني أنها تدرس التقطيع الخاص بلسان ما لخامة التعبير مع التقطيع الخاص باللسان نفسه لخامة المضمون، مجتمعين في بنية نسقية واحدة. وخامة المضمون هي تشكيل لمادة يمكن أن تدخل في تشكيل أي صعيد مضون لأي لسان ممكن، كما أن خامة التعبير تشكيل لمادة يمكن أن تدخل في تشكيل صعيد التعبير لأي لسان ممكن، ولهذا فإن المعطيات الخاصة باللسان هي شكل التعبير وشكل المضمون. يوجد هذا التقسيم في كل نص تتوفر فيه صفات النص السيميائي، أي القابل للتناول السيميائي، وبالتالي فهو نتاج قابلية العلامات التي يتكون منها النص للتقسيم نفسه.

يؤكد هيلمسلاف أنه من غير الممكن أن نثبت نظرية اللغة كما يتصورها ولا أن ننفيها[14]. وكل ما في الأمر أنه في مقدورنا أن نناقش مدى انسجامها الداخلي. وبمجرد أن نطمئن إلى ذلك الانسجام الداخلي يصبح من الحتمي أن نعتبرها تشمل كل المواضيع التي تتطابق مع تعريفها لموضوعها، وأن نرفض كل المواضيع التي لا تتطابق مع ذلك التعريف، تماما كما يحدث

داخل الأنساق المنطقية والرياضية. ونعتقد أن الأمثلة التي تطرقنا لها تبين أن المسألة تدور في إطار بناء نسقي يبدأ بضبط المفاهيم وصياغة التعريفات؛ ويؤسس للنظرية بمنطلقات إبستيمولوجية تضفي عليها المعقولية اللازمة؛ وعندما نقبل النظرية بهذه المواصفات، يصبح العمل بداخلها آليا، بحيث لا يقبل إعادة النظر في تماسكها أو في قدرتها على الاستنباط، وإنما يتمثل في الفرز بين ما يدخل في نطاقها وما لا يدخل. فنحن عندما نستعمل المفاهيم: صعيد التعبير وصعيد المضمون والشكل والخامة، إنما نستعملها كأدوات للتحليل. وهذه الأدوات تمت صياغتها وفق ما يناسب التصور الذي وضعته النظرية لموضوعها[15]، وبالتالي لا يمكن أن توضع للاختبار، بل من البديهي، من وجهة النظر هذه، أن يتم العمل بها وتحديد ما تشير إليه في أي نص تقبل النظرية أن يكون موضوعا لها.

هوامش:

[1] - Hjelmslev, Louis. Prolégomènes à une théorie du langage. Minuit, Paris, 1971, p. 12.

هيلمسلاف، لويس: حول مبادئ نظرية اللغة، تر. جمال بلعربي، منشورات الاختلاف (الجزائر) 2018.

[2] - Hjelmslev, Ibid. p. 129.

[3] - Saussure, Ferdinand de. Cours de linguistique générale. Payot, Paris 1968.pp. 155-157.

[4] - Hjelmslev, L. Prolégomènes à une théorie du langage, pp. 65-66.

[5] - Hjelmslev, L. Essais linguistiques. Minuit, Paris. 1971. p. 73.

[6] - Hjelmslev, L. Prolégomènes à une théorie du langage, p. 43.

[7]- تقترب الدوال عند هيلمسلاف في معناها من الاستعمال الرياضي، أي أنها الصيغ المجردة للعلاقات الثابتة بين مكونات اللغة.

[8] - Hjelmslev, 1966. P.154.

[9] - Hjelmslev, L. Prolégomènes à une théorie du langage, p. 69.

[10] - Hjelmslev, Ibid. p. 71.

[11] - Barthes, Reland. "Eléments de sémiologie". In Communication, n° 4, 1964. Seuil, Paris 1964.

[12] - Hjelmslev, L. Prolégomènes à une théorie du langage, p. 160.

[13] - Hjelmslev,Ibid. p. 101.

[14] -Hjelmslev, Ibid. p. 24.

بلعربي، جمال. قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، (الجزائر) 2012.

[15] – Hjelmslev, L. Nouveaux essais linguistiques. Minuit, Paris, 1985, p. 140.

Hjelmslev, Louis (1971a). Prolégomènes à une théorie du langage. Minuit, Paris.

Hjelmslev, Louis (1971b). Essais linguistiques. Minuit, Paris.

Hjelmslev, Louis (1968). Le langage. Minuit, Paris.

Barthes, Reland (1964). Eléments de sémiologie. In Communication, n° 4, 1964. Seuil, Paris.

Bedir, Samir (2000). Hjelmslev. Les Belles lettres, Paris.

Saussure, Ferdinand de (1916). Cours de linguistique générale. Payot, Paris 1968.